العنوان:	الخطاب الثقافي ومكوناته : الخطاب النقدي السعودي ، البليهي نموذجا
المصدر:	ملتقى تبوك الثقافي الثاني - تحديات الخطاب الثقافي العربي
الناشر:	النادي الأدبي بتبوك
المؤلف الرئيسي:	ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
مكان انعقاد المؤتمر:	تبوك
رقم المؤتمر:	2
الهيئة المسؤولة:	النادي الأدبي بمنطقة تبوك
الصفحات:	293 - 309
رقم MD:	408620
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الثقافة الإسلامية ، الثقافة العربية، البليهي ، إبراهيم ، الخطاب الثقافي ، النقد الأدبي ، السعودية ، التراث الثقافي ، الحضارة الغربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/408620

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.mtenback.com

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان. (2010). الخطاب الثقافي ومكوناته: الخطاب النقدي السعودي ، البليهي نموذجا.ملتقى تبوك الثقافي الثاني - تحديات الخطاب الثقافي العربي، تبوك: النادي الأدبي بمنطقة تبوك، 293 - 309. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/408620

إسلوب MLA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان. "الخطاب الثقافي ومكوناته: الخطاب النقدي السعودي ، البليهي نموذجا." فيملتقى تبوك الثقافي الثاني - تحديات الخطاب الثقافي العربي تبوك: النادي الأدبي بمنطقة تبوك، (2010): 293 - 309. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/408620

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.mtenback.com

الخطاب الثقافي ومكوناته
الخطاب النقدي السعودي (البليهي نموذجا)

أ.د. مرزوق بن تنباك

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

رؤية إبراهيم البليهي وخطابه النقدي

البليهي في الدارجة في بعض المناطق في الجزيرة العربية تعني الجمل الذي يحمل حمله وحمل غيره، و يحمل ما تعجز عنه أمثاله من الأحمال،ويقطع المسافات دون تعب أو ملل، وهناك بيت من الشعر العامي يصف البليهي بهذه الصفة (الصبر والتحمل)، ويشبه الرجل الذي يتحمل عن غيره ما يعجز عنه من مسؤوليات بالبليهي، وفي الفصحى هو وصف للرزانة والمكانة، ويقصد بهذه الصفة كرائم الإبل خاصة. والشيخ إبراهيم البليهي عربي صليبه، وعربي قح، وهما كلمتان تستعملهما العرب لفصاحة اللسان وسلامته،وعراقة النسب ونقاوته، فيقولون فلان عربي صليبه إذا أرادوا أنه معمم مخول في العرب، ويقولون فلان عربي قح إذا أرادوا أنه يتكلم العربية طبعا وسليقة. وقد جمع صاحبنا الصفتين الأخيرتين، منبتا ونسبا، والصفة الأولى تشبها .

ويظهر والله أعلم أن عروبة الرجل في جانبيها اللغوي والمعنوي قد جعلته يحمل عن العرب كافة في هذا الزمن عبء ما عجزوا عن حمله والإفصاح عنه كما هو **(حال البليهي)**.

كانت صدمته الكبرى أنه أدرك بكل حواسه الخمس واقع العرب الذي وصلوا إليه بين أمم الأرض في هذا الزمن الحاضر، وكانت مصيبته في قومه أكبر من أن يخفيها التجلد،لأنه لم يأخذ برأي أبي ذؤيب الهذلي، فيتجلد للشامتين كما تجلد أمثاله ممن يستطيعون التجلد والصبر. رأى بعينه الأمم في مشارق الأرض ومغاربها تسبح في الفضاء، وتغوص في الماء، وتسخر إمكانات الأرض والسماء لسعادة الإنسان في أي مكان، قارن ذلك بما عليه قومه فلم يجد وجها للمقارنة، فتوجه إليهم، وبدأ معهم حديثا طويلا لم ينته بعد.

أذكر أنني قرأت له مقالا كان يتحدث فيه عن إحدى معجزات العلم عند غيرنا، وضرب مثلا بالطائرة التي كان مسافرا عليها حين رأى الناس وهم في الفضاء يسيحون ويأكلون ويشربون، ويتسوقون، وينامون، فكر كيف صنع القوم هذه المعجزة وغيرها من المعجزات، وعدد أشياء أخرى كلنا نعرفها، ونستعملها، ونسرف باستعمالها، وهي إنتاج عقول القوم في الشرق والغرب، ولكن ذلك كله لم يثر عند قومه سؤالا واحدا كيف وصل الناس إلى ما وصلوا إليه؟ ولماذا لم يحدث عندنا ما حدث عندهم؟

الملايين منا عرفوا ما عرف ورأوا ما رأى، ولم يستشكلوا ما استشكل، ولم يغضبوا كما غضب، كانت غضبته مضريه بكل ما تعنيه هذه الكلمة. فاتجه إلينا وإلى حاضرنا، بل حتى إلى ماضينا يفككه وينثره بين أيدينا، وعلى مرأى ومسمع منا، يرى أننا أسرفنا في

www.mtenback.com

تعشق ذلك الماضي فألهانا عشقه عن النظر فيه، وانشغلنا به عما يجب أن نعمله لحاضرنا، ووضع ما يقابل ذلك من ماضي الأمم وحاضرها مع ماضينا وحاضرنا لنقيم المقارنة ونرى الفارق. عد بعضنا مقالات البليهي شتائم للعرب وتعشقا للغرب، وعدها بعضنا الآخر شعوبية جديدة،واختلف الجميع حول ما يطرح من آراء وأفكار، ولم يتفقوا على شيء.وسنحاول فيما يلي قراءة خطاب البليهي النقدي.

الخطاب النقدي السعودي(البليهي نموذجا)

تعرضت المنطقة العربية خلال ثلاثين عاماً لهزات عنيفة عسكرية واقتصادية، واجتماعية،وفكرية. ففي الجانب العسكري تعرضت المملكة العربية السعودية ودول الخليج والعراق والشام الكبرى(سوريا-لبنان-فلسطين-الأردن)لحروب مدمرة خلال هذه السنوات؛ كانت نتائجها كلها في غير صالح العرب منذ حرب العراق وإيران الأولى إلى حرب العراق ودول الخليج وحروب لبنان وفلسطين، وكلها أتت بنتائج غير مرضية وغير معقولة مما أشعل لهيب الخطاب السياسي الناقد الذي تناول في كثير من مضامينه الأسباب التي مهدت للفشل العسكري، والضعف الذي أظهر هشاشة الحال الذي كنا فيه في كل الجوانب.وفي الاقتصاد كانت ثروات هذه المناطق ، ولاسيما منطقة الخليج قد تعرضت لاستنزاف رهيب، وفساد استشرى في بعض النفوس، وتناول مقدرات الوطن كله، و بعض هذا الفساد كان بحجة الحروب العسكرية التي فرضت على المنطقة ،وما يتبعها من تكاليف أثقلت كاهل الاقتصاد الوطني وأفلست بالدخل القومي. أما الجانب الاجتماعي فقد كان تأثره أكثر بكثير مما تعرض له الجانب العسكري والاقتصادي، حيث إن الجانب الاجتماعي أكثر هذه الموضوعات استقبالاً للمتغيرات، وأكثرها تأثراً بما يحدث على كل الأصعدة بعض المسلمات، وتناول بعض الثوابت، وارتفعت أصوات كثيرة تنادي بفحص واقعنا الاجتماعي والبحث عن مكامن الضعف فيه، وكيف وصل بنا الحال إلى هذا الدرك من الهوان.وفي الجانب الفكري اختلطت المفاهيم، وتباينت الأغراض، وتصادمت الرؤى التي تؤسس لهذه لهزات الكبيرة التي تعرضت لها دول المنطقة، وإن كان حظ بعضها من هذا التعرض أكثر من حظ البعض الأخر، فتباينت التحليلات، واختلفت التفسيرات، وراجت الأحاديث وكثرة الحجج التي تناقش ما حدث بطرق متعددة كلها تحيل إلى خطأ ما في تكويننا الاجتماعي والعسكري والسياسي والاقتصادي أيضا.

وذهب المثقفون والمفكرون في تفسير هذه الهزائم طرائق شتى.

www.mtenback.com

كانت المملكة هي أكبر دول المنطقة العربية في الجزيرة العربية والشام الكبرى وهي أهم كل دول المنطقة في الجانب الاقتصادي بصفتها المصدر الأكبر للثروة المشتركة في المنطقة، وهو البترول، وهي أهم كل تلك الدول باعتبار موقعها الجغرافي بالنسبة لدول المنطقة وبالنسبة للعالم المحيط بها بصفتها حاضنة المقدسات الإسلامية المتفق على قدسيتها عند كل المسلمين،ومن جانب السياسة الخارجية فهي أهم كل دول المنطقة بموقعها الجغرافي، وعلاقاتها مع الغرب، واستقرار أحوالها نسبة إلى بعض دول المنطقة، وهي كذلك ذات عدد سكاني كبير إذا قورنت ببعض دول المنطقة المحيطة بها. وأخيراً فإن المشروع الثقافي والفكري والتنوع في هذين المشروعين داخل المملكة العربية السعودية مع خصوصية الدولة الدينية جعلت المملكة وسكانها في وضع متميز، ولا أقصد بالتميز المعنى الإيجابي، ولا المعنى السلبي، وإنما قصدت المعنى الكمي نسبة للثوابت والمتغيرات في هذه المنطقة، وفي المملكة العربية السعودية أيضا.

هذا الوضع الخاص للمملكة تناولته أقلام وأراء و أفكار كثيرة من المفكرين والكتاب ومن عامة الناس وخاصتهم داخل المملكة وخارجها،وفاضت أقلام وأراء في الحديث عن الواقع العربي العام والواقع الخاص في المملكة،ولأن عنوان مؤتمرنا هذا هو الخطاب السعودي(**الخطاب الثقافي ومكوناته**)فإن بحثي سيتناول أحد أهم الأقلام التي تناولت الواقع الحاضر بمنظورين اثنين: منظور الماضي التراكمي الذي خلفته أجيال من المفكرين و المبدعين العرب، وغيرهم في الماضي كله،ومنظور معاصر ينظر إلى الواقع الذي يعيشه العرب في الوقت الحاضر من زاويتين:

.الأولى النظرة التراكمية الثقافية، **والثانية** هي النظرة للحاضر الذي ترى وتقارن ما علية العرب وما عليه أمم أخرى، ذلك كله يأتي في خطاب الشيخ إبراهيم البليهي النقدي الذي تناول هذه القضايا في كثير من الأطروحات والمقالات والمقابلات على مدى عشرين عاماً مضت، تتأمل نظرياته بعض مظاهر الخطأ والصواب في المسيرة البشرية، وينصب جلُّ خطاباته واهتماماته على عوامل النهوض والانحطاط في تاريخ البشرية، وكانت مقالاته تحمل صدمات مثيرة ومباشرة للراكد والثابت في حاضرنا باعثة كثيراً من التساؤلات التي يعرضها بخطاب فكري واضح التوجه، ملخصه أن في عالمنا العربي والإسلامي مجالاً خصباً للحديث عن المتناقضات في ماضية البعيد وفي حاضرة الراهن، ولعل مصطلح بنية التخلف الذي ردده في مقالاته لوصف حاضر العرب دليل على رؤية فاحصة متعمقة في تشريح الأسباب،وقد حاور دونه، ودافع عنه، وعرض الكثير من الشواهد التي تؤكد في

www.mtenback.com

زعمه ما يذهب إليه، في أن العالم العربي يعاني وضعاً متخلفاً بين أمم الأرض كلها، ومع بنية التخلف التي اشتهر بسكها مصطلحاً حديثا لواقع الثقافة العربية تحدث كثيراً عن تأسيس علم الجهل،وهو مصطلح آخر انفرد البليهي بالحديث عنه في مقالاته و أطروحاته التي يعرضها دائماً، ولا يملّ الحديث عنها. كل ما يطرح منذ بدأ الكتابة ومواجهة القراء بأرآئه هو فكر صادم للقارئ الذي لم يعتد على تلك الزخات من النقد المنظم فكرياً للواقع الثقافي في عمومه،يبحث خطاب البليهي عن الأسباب الكامنة في هذه البنية التي أطلق عليها بنية التخلف أو تأسيس على الجهل، ولا يذهب بعيداً في إدراجه لهذين المصطلحين حتى يشحُّ بهما على الواقع العربي، فيسحبهما، ويضع مكانهما مصطلحي التقهقر و الارتكاس .

لقد ضربت مقالاته وخطاباته الناقدة في صميم الداء الذي تعاني منه الأمة، فشرح داءها بلغة حادة غير مهادنة ولا موارية، وليست متخفية تحت أي ستار حتى يكشف خلل الواقع الذي يراه ويعيش فيه قومه، والأكثر صرامة في أفكاره ومقالاته وخطابه النقدي هي المقارنة القائمة في ذهنه والحاضرة في فكره بين العالم العربي الذي ينتمي إليه وبين العالم الغربي الذي أحدث في تاريخه المعاصر قفزة هائلة في معارفه واختراعاته وإنجازاته في كل صنوف الحياة التي أسعدت الإنسانية، وخففت آلام البشر، وسيرت الحياة في كثير من وسائلها، وخلا رصيد قومه من كل ذلك.

وقد عبر عن ذلك صراحة في قولة:"السؤال الذي رافقني منذ البداية وهو:لماذا بقى التطور المذهل في العصور الحديثة محصوراً بمجمعات قليلة بينما طوفان التخلف مازال يغمر أكثر مجتمعات الدنيا؟ ولماذا ظللنا نحن المسلمين ضمن المجتمعات المتخلفة؟"

هذه الكلمة تفتح مسائل الاستشكال التي ملأت خطابه النقدي، ودقة الملاحظة والتأمل الذي يحدثه النظر الممعن،يقول في إحدى مقالاته وهو يتحدث عن ظاهرة التقدم عند غيرنا، ويضرب مثلا بأكثر الأشياء ملامسة لحياتنا، و قد اختار الطائرة التي كان مسافراً عليها حين رأى الناس وهم في هذا الفضاء يسيرون، ويتسوقون، ويبتاعون، ويشترون، ويأكلون، وينامون يقول:" ما سافرت يوماً عن طريق الجو إلا وشعرت بالإمكانات المدهشة التي يملكها عقل الإنسان حين يتم توجيهه للأعمال المجدية،فأنت في الطائرة تحس أنك جالس في قاعة فخمه أنيقة تضم ما يعادل سكان قرية بكاملهم، ومع هذا فإن هذه القاعة الرائعة تسبح في الهواء برشاقة آسرة وسرعة عظيمة،وليست الطائرة هي أعظم ما توصل إلية عقل الإنسان،وليست أدق ما تصنعه يداه، لكني مع ذلك ما سافرت بها إلا وأحسست بمزيج من المشاعر المتضاربة، حيث أحس بالزهو لأنني أنتمي إلى النوع الإنساني الذي حقق هذه

www.mtenback.com

الانجازات الباهرة،غير أنني في الوقت نفسه أشعر بالامتعاض لأنني أنتسب إلى مجتمعات قد تخلت عن دورها الحضاري، فلم تشارك في شيء من هذه الانجازات، ومازالت غافلة عن مقوماتها الحقيقة." **حوارات البليهي ،٢٦"**

فكر كيف صنع القوم هذه المعجزة التي مكنت الإنسان من هذا الاختراق الهائل في العلم لخدمة البشرية، وذكر غيرها من معجزات التقدم العلمي، وكل ذلك حدث عند عدد من الأمم وهي إنتاج عقولهم في الغرب، ولكن ذلك لم يثر عند قومه العرب والمسلمين سؤالاً واحداً، كيف وصل الناس إلى ما وصلوا إليه؟ ولماذا تخلفت قدراتنا وعقولنا حتى عن تقليدهم ومجاراتهم بله اختراعاتهم و إبداعاتهم ولماذا لم يستشكل القوم ما استشكل في رؤيته؟ فاتجه بأسئلته إلى الثقافة وإلى حاضر العرب، وإلى ماضيهم يفككه، وينثره بين أيدينا وعلى مرأى ومسمع منا،ويبحث في بنية هذه الثقافة ثم ينتهي إلى رأيه الذي يرى فيه أننا أسرفنا في تعشق الماضي وتقديسه فألهانا عشقه عن النظر فيه، وانشغلنا به عمّا يجب أن نفعله، ونعمله لحاضرنا حتى نقيم المقارنة ونرى الفارق:وهو يحمل الثقافة طمس معالم الفردية المبدعة، فيقول فيما عرضته له جريدة الحياة، ونقله عبدالله المطيري في مجموع تلك الحوارات ما نصه: "إن أحوال الفرد العربي كانت هي الأسوأ..ونتيجة لهذا السوء المزمن فإن المجتمعات العربية هي في نفس المستوى من السوء،بل هي أشد سوءا،ففي المجتمع تتراكم السوءات أضعاف ما يصيب كل شخص بمفرده، ومادام أن الأفراد مطموسو الفردية فإن المجتمع قانع ومن غير فاعلية، ففي ثقافة لا تعترف بالفردية لا توجد علاقات تكامل وتكافؤ، وإنما توجد سلطة مطلقة وأتباع خاضعون ومبعثرون لا تجمعهم مؤسسات مدنية، وإنما هم نثار مثل نثار حبات الرمل، إن الفرد مطموس الفردية لا يفكر ككائن مستقل، وإنما هو مبرمج على نمط من التفكير لا يخرج عنه، لذلك يبقى تفكيره دائرياً اجترارياً، ويظل مغتبطاً بهذا الاجترار يتباهى به، ويستميت دفاعاً عنه، ولا يقبل أن يوضع موضع التساؤل أو التحليل أو المراجعة".

هذا النص يمثل إحدى مرتكزات خطابه المعرفي الذي يحاول أن يجادل به، ويفسر علل الواقع العربي الذي أورثه التخلف، وهو جانب ركز عليه في محاولاته، ووصف الخلل في بنية المجتمع.

"مجموعة حوارات البليهي ٢٦"

تلك هي الفردية المغرقة في الذاتية التي تجعل نفسها ومصالحها مركزية في تفكيرها واهتمامها فيما حولها، وقد استعمل مفردة صحراوية مجدية في العطاء منفردة في البناء،

www.mtenback.com

فذرّات الرمل مجتمعة تكون كثباناً هي مغبة التيهان والضياع، ولكنه من السهل تفكيكها وذرّها في الريح العاصف كالرماد، وهذه الكثبان الرملية وذراتها المنفردة المتطايرة هي أقرب وصف تخيلته اللغة عنده لحال قومه المعاصر، فكثرتهم عدداً مثل الكثبان ارتفاعاً ومكانة،وضعفهم أمام الناس مثل ذرات الرمل التي تهيلها الريح، وتحركها حيث شاءت تركبها ثم تعيد تركيبها مره أخرى،فحركتها لا إرادية وذلك حال قومه في هذا العصر.هذا الخطاب الناقد لوضع العرب في عصر العلم والاختراع لا يبعد عن هذه الصورة عنده. و لم تكن فلسفة البليهي مجردة من المُثل الذي يجده في حياة المجتمعات ماثلاً أمامه عند ما يواجه قضية اجتماعية يرى أن أسبابها كامنة في معهود سابق وعادات متوارثة وقيماً يعدها المجتمع في مرحلة من وجوده شيئاً مقدساً عنده، فيقول في بعض عرضه لأزمة المجتمع الفكرية وميله إلى مثبطات التحرر: ((إن المجتمعات تبقى أسيرة عاداتها في الفكر والسلوك، فلا تستطيع مبارحتها أو إعادة النظر فيها لأنها مقتنعة بكمال هذه العادات، وتعتبرها مصدر فخرها حتى وإن كانت هي سبب هوانها وفقرها واستمرار عجزها، لذلك تغيب احتمالات مراجعتها وتصحيحها إلا في ظروف نادرة حين تتعرض لحدث طارئ شديد ينثر فكرها ويؤجج وجدانها، ويلهم إرادتها، ويستثير طاقتها، ويوحد اتجاه أبنائها، ويعيد تركيب بنيتها)).

"مقدمة بنية التخلف"

وخطاب البليهي الناقد لا ينطلق من نظريات مجردة عن ملامسة الواقع وتوصيف الحال الذي يظن أن مقومات تعثره تكمن في خلفياته الثقافية أو الاجتماعية الموروثة والمتخيلة في شعور المجتمع التقليدي الذي يفضل أن يبرر تقهقره وانتكاسه بمبررات موروثة. قد يجد لها سبباً ليس مقنعا، ولكنة مريح للعاجزين عن التجاوز لتلك المعوقات الموروثة التي تحيط بمسار حياتهم، وهو في بعض وصفه لحال العرب يتناول الجانب السيسيولوجي فيقول : ((الناس في المجتمعات العربية لا يعترفون بالمثقف، ولا يقرون له بأي دور، المثقف يخاطبهم بلغة العقل، وهم لم يعتادوا على هذا الخطاب لذلك يستنكرونه وينفرون منه. فالعربي يستجيب للهياج الأيديولوجي مهما كان اتجاه هذا الهياج.وقد رأينا العرب يندفعون اندفاعاً أعمى حول كل الشعارات الماركسية والقومية و البعثية ثم ينقلبون من الشيء إلى نقيضه، فالكلام يلهب عواطفهم، والشعارات الجوفاء تستفزهم.أما الخطاب العقلاني فإنهم لا يصغون له، بل يرفضونه ابتداء قبل أن يسمعوه..))"

www.mtenback.com

حوارات صـ١٣٨"ـ

وعندما يصف العربي بالهياج العاطفي يرى في جانب آخر "أن الناس منحازون تلقائيا لذواتهم، ولكل ما يمت بأي صلة إلى هذه الذوات، ولكنهم يغفلون غفلة مطبقة عن هذا الانحياز، ويتوهمون أنهم منصفون في أحكامهم، وأنهم معتدلون في أرائهم، فيقعون في الجو،ر وهم يظنون أنهم يقيمون العدل، ويرتكبون الخطأ، وهم يتوهمون أنهم يساندون الصواب."

"بنية التخلف ٣١"

ويحدد في أغلب ما يطرح ضوابط السلوك الاجتماعي و نواقض هذه الضوابط التي يحدثها ضعف الإنساني المعرفي بذاته وقدرته على التلون إذا كان الأمر متعلقاً به وهو ما يبرر به أخطاءه في الحياة؛ فالقيم الفاضلة هي مطلب إنساني يرغبه الناس جميعاً، ولكن الخلاف يحدث عندما تحمل النفس على معالجته وتطبيقه علمياً، فلا يجد المرء إلا الدعوى التى لا يوافقها الصواب في زعمه عند الناس،وقد يجترح المرء الخطيئة غير قادر على تجاوزها والابتعاد عنها. والعقل الذي يدعو البليهي إلى الاعتماد عليه وسؤاله والانصياع إلى حكمه يكشف في بعض أطروحاته ومقالاته عما يباعد بين ما ينظر له وما يدركه في التجربة والتمحيص فيقول إن:" العقل البشري طبيعة عجيبة وغريبة فهو ينطوي على إمكانات مدهشة،لكنه أيضاً يشتمل على نقائص شنيعة،ولابد أن تتضافر الجهود من أجل تعريف الناس بإمكانات العقل ليستفيدوا منها، وتعريفهم بنقائصه ليفطنوا لها، فيجتنبوها ".فالعقل عند عامة الناس يميل إلى القبول السطحي للأشياء فهو دائما مأخوذ بالمظاهر السطحية لا يستجلي جواهر الأشياء، فلا يتعمق في حقائق الأمور...إن العقل البشري يبدو في بعض الأحيان وكأنه ذو طبيعة أسطورية تؤثر فيه الأشياء الغامضة، وتسحره الأمور البعيدة، فيصاب بالشلل ويتوقف عن محاولة الكشف والاستقصاء "

"بنية التخلف ٦٥-٦٧"

يبدو أن المراد في هذا الحديث عن العقل هو ما يسمى بالعقل الجمعي الذي لا يفكر كثيراً وإنما يسير مع المدرك المتسرع أو الانصياع لرأي العامة الذين لا يحددون ما يريدون بهذه الجملة التي يرى أن العقل فيها غير فاعل، وغير مدرك لما يقوم به،وذلك لا يمكن قبوله على علاته ما لم يكن قصده ذاك المؤثر، الذي لا يسمح للعقل في تميزه وتحديده في مستوى من الإدراك والتقويم. ومن سياق كلامه وهو في مجمله يتحدث عن سحر الغياب وهالة الغموض، وهو يميل إلى وصف العواطف المؤثرة وليست العقول الواعية التي تدرك

www.mtenback.com

الفوارق بين الأشياء ولا تستسلم للظاهر والعام والمتفق عليه في سلوك الجماعة التي يتحدث عن عقلها الجمعي المؤثر في تصرفاتها، وهو ما نعني به الانسياق مع الهوى وميل النفس ومطالب العواطف في مثل هذه الحالات لا يكون العمل للعقل، بمعنى لا يكون العقل واعياً تمام الوعي لهذا الانسياق مع العواطف والرغبات.ولأن الكاتب يتناول في موضوعاته أو جلّ موضوعاته ما عبر عنها في مقالات منشورة تروى في صحافة يوميه فقد يقع منه ما يوحي بالتردد في مسلماته وأحكامه التي يدافع عنها، ويحاول أن يقيم البرهان على سلامة نتائجها، وهذا الحال هو ما قد يشعر المتتبع لما يعرض من أراء، أن التعميم الذي يظهر في بعض مقالاته يخصصه في مقالات أخرى و مواضع تالية لما يقدم من أراء وهذا ما سوف نبينه عندما نتعرض للتحولات التى نمى فيها خطابه النقدي، والمؤثرات التي تعرضت لها رؤيته منذ بدأ الكتابة منذ عشرين عاماً بعد مرحلة طويلة من القراءة الصامتة والتأمل المنفرد والانشغال بمهمات وظيفية بيروقراطية أبعدته ردحاً من الزمن عن ممارسات الكتابة والمواجهة مع القراء، ولكنني سأؤجل هذا إلى منطلقات خطابه النقدي في آخر هذا البحث وأما الآن فإن الحديث هو استعراض للمنجز الفكري الذي قدمه للناس والمرتكز المعرفي الذي يحاول إضفاءه على الواقع الذي يعيشه، وهو نقد حاد لم يستطع كثير من الناس إدراك مغزاه الذي يرمي إليه.

ويلاحظ المتتبع لما يقدم الكاتب في أرائه أنه يقسم المجتمعات والناس إلى أصناف، بل الأغلب عنده أنهم صنفان اثنان تنطبق عليهما طبيعة التفاوت والاختلاف.وهذان القسمان عنده يقابل كل منهما الآخر، ويناقضه، وينحاز عنه، ويخالفه وهو في ذلك يخفي حقيقة المراد الذي يرمي إليه، أو يحاول أن يتجاوز بهذا التقسيم ضروباً من المواقف التي لا يريد أن يقف عندها كثيراً، وإنما يريد أن يصل إلى النتيجة التي يرغبها دون الوقوف عند تفاصيلها التي قد لا تكون مرضية له في جانب من جوانبها؛ مثل ما ورد عنده في بعض مقالاته حين يعمد إلى تقسيم المجتمعات فيقول "إن الإنسان في المجتمعات الواعية بقدر ما يكون ملتزماً بأداء واجباته فإنه يعرف أن كل الآخرين يلتزمون بالأخلاقيات الحضارية التي تحفظ له حقه وتقدر له جهده، وتصون له كرامته، فكل الاجتهادات لها حقها في الاعتبار والرعاية والاحترام حتى الأخطاء العملية والاجتهادية تغتفر في المجتمعات الواعية، لأنهم يعرفون أن الخطأ عنصر ملازم لكل عمل بشري، والعلم ذاته في بعض نظرياته ما هو إلا محاولات مستمرة من التصحيح.أما في المجتمعات المتخلفة فإن طوفان الأهواء لا يدع مجالاً لتقييم أي إنجاز ولا احترام أي عمل ولا تقدير أي اجتهاد، إنه لم يتخلف إلا لأنه مجتمع ينفي

www.mtenback.com

بعضه بعضا، إنه مهووس بالتجريح، فهو مصاب بالتآكل بدل التكامل وبالتنافي بدل التنامي وبالإلغاء بدل الإبقاء وبالهدم بدل البناء، كل واحد لا يهمه سوى نفسه وتحت رغبته الفجة المسعورة في الاستحواذ المادي والمعنوي فإنه يحاول أن يلغي كل الآخرين ويبخس كل الأعمال، وينكر كل الانجازات لأن هاجس المصلحة العامة يعاني من فتور شديد في النفوس، ولأن روح الإنصاف قد أصيبت بالعطب"

"بنية التخلف ٩٥"

هذا الإنسان وهذه المجتمعات التي يقسمها إلى مجموعتين مجموعة تعلم حقها و تحترم حقوق الآخرين؛ لأنهم يعرفون بواطن الأمور، فيتخذون مواقف أقل حده حتى مع المخطئ والمقصر، والمجموعة الأخرى المتخلفة؛ فإن الغالب على أفرادها وجماعاتها هو الطمع وهو مجتمع أو أفراد مصابون بداء البغضاء والحسد والتدافع بالمصالح الذاتية،والرغبات المسعورة. وتوصيفه هذا لا يخلو منه مجتمع أو مجتمعات واعية أو متخلفة،وإنما الحاكم في ذلك هو عامل لم يذكره، وكان الأولى الإشارة إليه ؛ ذلك أن المجتمعات التي يصنفها واعية تتمتع بوعي حقيقي لذات الشخص والجماعة؛ وينضبط سلوكها بزمام الردع الذي لا يمكن أحداً من تجاوز حقه إلى حقوق الآخرين، بينما في المجتمعات التي وصفها بالمتخلفة تأتي التجاوزات مع غفلة الجماعة عن حقها وعجز الأشخاص عن الدفاع عن هذه الحقوق، فيتميز في الأولى الوعي بالحقائق الرادعة، ويتميز في الثانية غياب آليات الردع وقد لا يجد الناظر في اختلاف حالي المجتمعات الواعية وتلك المتخلفة إلا أن عامل الشعور الجماعي في الحقوق هو الفيصل فيما يحصل عليه الإنسان في كلا المجتمعين، وليست فضيلة جبل عليها هذا المجتمع، وفقدها المجتمع الآخر. ويظهر واضحاً في خطاب الرجل ما يؤيد أن الفضل والكمال نسبي، وأن الناس لا يختلفون كثيراً في طلب الفضل، ولكنهم يختلفون في تعريف الفاضل، ويعجزون عن الأخذ بالفضائل ولو كان هذا الحال يناقض رغباتهم، ويلجئون إلى الاختزال مبررين ذلك في مبررات عدة، يقول في أحدى مقالاته "الحياة الراشدة تقوم على النظرة الشاملة المتوازنة التي تأخذ بالاعتبار كل جوانب الأشياء والأشخاص والأفكار والأحداث والمواقف، فلا تغفل جانباً لحساب جانب آخر، ولا تركز على عنصر واحد، وتهمل العناصر الأخرى...أن ندرك استحالة الكمال المطلق لأي مخلوق، فلا شيء يتمحض للخير ولا للشر ولا شيء يخلص للنفع ولا للضر ولا مخلوق يبلغ درجة الكمال، إنما في كل شيء جوانب نافعة وأخرى ضاره، فيكون القبول أو الرفض ليس مبنياً على توهم المحض أو

www.mtenback.com

الكمال، إنما يكون قائماً على التغليب والترجيح، فلا تزدهر حياة أي مجتمع إلا إذا أخذ من كل شيء خير ما فيه، وتحمل بأريحية ما قد يشتمل عليه من ضرر

"بنية التخلف ١٢٩-١٣٠".

وعنده أن خطأ الأفكار جائحة إنسانية أخطر من كل الأخطاء المادية التي يمكن تدارك ضررها المادي، أما خطأ الفكر فالأمر فيه مختلف والضرر منه لا يعادله غيره من الأضرار، و حتى يجلي ذلك يقول في بعض مضامين خطابه التنويري "إن فروع العلم هي بمثابة الخيوط التي يكون فيها نسيج المعرفة، فلا يتكون النسيج إلا بالتداخل والتشابك والالتحام، ولكن مهما بلغ هذا الالتحام من القوة فإنه يبقى مليئاً بالفجوات، ويظل مجرد مقاربات نسبية تحاول الاقتراب من الحقيقة، وهي مقاربات محكومة بظروف الفرد النفسية والاجتماعية والمعرفية، إلا أن الامتداد الأفقي والرأسي للمعرفة الفردية شرط لاضطلاع المرء بمحاولة الفهم والتفسير لأي شيء يتعلق بحياة الفرد والمجتمع سواء في ماضيه أم حاضره،ولكن المرء حتى يسعى قدر طاقته عمقاً واتساعاً لبلوغ الحقيقة يكون معرضاً للخطأ في أرائه والجور في أحكامه، أما حين يحاول الحكم على الأفكار والأحداث والأشخاص والمواقف بدون أن يملك أدوات المعرفة بكل العمق والاتساع فإنه يكون قد ارتكب الخطأ والجور منذ البداية

"بنية التخلف ١٤٥"

يجيب البليهي على كثير من المقابلات الصحفية التي أجريت معه، ويوضح فيها بعض ما أجمله في خطابه وبعض ما عمم أو غمض مما يطرح في مقالاته، وهي كثيرة ومتنوعة وفي هذه المقابلات التي توضع على هيئة أسئلة تحديد ما يعرض السائل من أراء نجد أن إجاباته تتصف بالاسترسال والإطالة، وهو أمر يظهر رغبته في زيادة الإيضاح وبيان الحجة التى يسعى أن تكون مقنعة وقاطعة، ولأن أغلب خطاباته النقدية تبحث محددات في ذهنه قد لا يجدها في واقع مجتمعه، وأكثرها إلحاحاً الثقافة الموروثة التي يقبع في محيطها الناس ويتخذونها طريق حياة مريحة لهم؛ فينصهرون فيها غير مدركين لما تحيطهم به الثقافة الموروثة من قيود آسرة شديدة . ومقابل الثقافة الموروثة المحيطة تكون الفردية المنتجة التي يبحث عنها فلا يجدها، ولا يسهل عليه تحديد ظواهرها في المجتمع إلا عند القليل النادر، حيث إن الفردية في رأيه هي حرية والاستقلال مقابل الكلية أو حركة القطيع كما يسميه، فيقول في توضيح فكرة الثقافة المعيقة والفردية المفقودة :"إن الناس يولدون بقابليات وليس بهويات محددة،فيشرب كل فرد الثقافة التي نشأ عليها ويذوب فيها وتتكون بها شخصيته

www.mtenback.com

ويبقى مغتبطا بهذا الذوبان. إن الأفراد يجدون أنفسهم على هذه الثقافة أو تلك فيشعرون بالزهو لهذا الانتماء لأن كل ثقافة تملأ الناشئين فيها بأوهام التميز فيعيشون مغتبطين بثقافتهم مقتنعين بما امتلأت به رؤوسهم، معتزين بانتمائهم، غافلين غفلة مطبقة بأنهم مبرمجون بهذا الوهم وبأن الناس في كل الثقافات يعيشون الوهم ذاته مما يجعل الثقافات سجونا للعقول إلا أنها سجون محبوبة.إن كل الثقافات كانت ومازالت تذيب الفرد في القبيلة أو المذهب أو الطائفة أو الدولة، ويعيش الأفراد وهم لا يعرفون أي خيار آخر بل ولا يفكرون بإمكان بديل أفضل فالفرد يتبرمج ذهنياً وعاطفياً وسلوكيا بما نشأ عليه ومن هنا استمرت فردية الإنسان مطموسة في كل الثقافات على امتداد العصور.

"حوارات ٢٨".

يبذل البليهي جهوداً مضنية لتوضيح رأيه فيما يسميه علم الجهل وبنية التخلف، وهو محور أدار عليه أكثر مقالاته ومقابلاته وأحاديثه يفصح عن ذلك مره، ويعرض عنه مراراً، ويتنقل بين معاني التخلف وتأسيس علم الجهل وإطباق الثقافة وبرمجة الإنسان الذي يحدد زمانه في الوقت الراهن ومكانه في العالم الثالث أو العالم المتخلف، ولأن تأسيس علم الجهل جاء عنده مكرراً ، وهو معنى يحتاج إلى كثير من التوضيح، بل لعله مما قد لا يتضح معناه لأول وهلة فقد يحسن أن نورد نصاً يضع الحديث عن تأسيس علم الجهل موضع البيان لما يريد عرضه، فيقول" لقد دعوت إلى تأسيس علم الجهل قبل صدور كتابي "بنية التخلف" بسنوات. فتحليل هذه البنية لا يمكن أن يتحقق إلا بواسطة "علم الجهل" الذي أدعو إلى تأسيسه، لأن الجهل المركب اعنى جهل الإنسان لجهله واغتباطه بهذا الجهل اعتقاداً منه بأنه الحق والصواب هو أقوى استحكامات بنية التخلف وغبطة المجتمعات المتخلفة بثقافتها وتوهمها الكمال لذاتها واقتناعها بأوهام الاكتفاء قد حالت بينها وبين أي تقدم.إن هذه الغبطة الواهمة هي القلعة الفولاذية التي تتحصن بها بنية التخلف، وبذلك توصلت إلى أن العقل البشري يصوغه الأسبق إليه، وأنه متى حدد اتجاهه و منظومة قيمه واهتماماته وطرق تفكيره وأسلوب حياته بالتنشئة المبكرة فإن العلوم التى يتلقاها بعد ذلك في المدارس والجامعات تبقى طلاءً خارجياً لا تأثير له على البنية الذهنية والوجدانية والأخلاقية، ولا على طريقة التفكير ولا على تكوين الاهتمامات وتحديد الاتجاهات.إن المجتمعات المحكومة بالبنى الثقافية المغلقة تمر عليها السنون والعقود والقرون وهي تدور في نفس المكان مغتبطة بهذا الدوران،.فهي تعتز اعتزازاً أعمى بثقافاتها لذلك فإنها لا تعترف بتخلفها، ولا ترضى بأن توصف بأنها مجتمعات متخلفة بل هي ترى أنها في القمة مهما تدهورت فيها الأوضاع،

www.mtenback.com

وترى الآخرين في القاع مهما صعدوا ومهما حفظوا من التقدم والازدهار. وهنا لابد من الاستدراك حول مفهوم التخلف فهذا المفهوم يوهم بأن المتخلف يسعى للخروج من حالة الركود، لكنه لم يحلق بعد، وهذا عكس الواقع فهذه المجتمعات تدور في المكان نفسه، ولا تريد أن تتجاوزه، لذلك فإنها ستبقى حيث هي، ولن تلحق أبداً حتى تغير ذاتها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ فالتخلف مرحلة متقدمة قياساً بحالة الدورات الثابت الذي لا يتجاوز مكانه فوصف هذه المجتمعات بالتخلف يغطي حقيقة عجزها البنيوي وتقهقرها المريع قياساً بحركة الحضارة المتسارعة..

"حوارات ٦٢"

ويزيد الموضوع وضوحاً ، ويفسر التخلف بأكثر من معنى فيقول: "إن الوصف بالتخلف يوحي بالحركة المستمرة نحو الأمام، فكأن المتخلف يركض خلف الذين سبقوه، لكنه لم يتمكن بعد من اللحاق بهم، وهذا يشير إلى أنه سوف يلحق في وقت لاحق... إن هذا الوصف يوهم بأن المزدهرين والمتخلفين ينطلقون من نفس المنطلقات وأنهم يسيرون مع نفس الطريق وأن لهم نفس الرؤى، وأنهم يسعون لنفس الأهداف، وأنهم جميعاً تحركهم نفس القيم والقناعات ويوهم بأن المزدهرين سبقوا غيرهم في بداية الركض، وأن هذه المزية هي التي مكنتهم من السبق، وأن الزمن سوف يطوي هذا الفارق... لكن أية مراجعة لثقافات الازدهار وثقافات الركود تكشف بأن الاختلاف بين المزدهرين والمتخلفين ليس كمياً إنما هو اختلاف نوعي.إن التخلف لا يعود إلى التأخر في بداية الانطلاق وإنما يرجع إلى الجهل بنقطة البادية أو الرفض الصريح أو الضمني لهذه البداية... إن التخلف ليس حالة عابرة إنما هو بنية قوية متماسكة تملك من الصلابة والرسوخ ومن متانة التحسينات وقوة الرفض ودوام المقاومة ما يضمن لها القوة والاستمرار، إنها تغلق الأبواب والنوافذ، وتوصد الأذهان والعواطف وتحرس نفسها حراسة شديدة لا تسمح للضوء بأن ينفذ، ولا للفكر بأن يستيقظ، ولا للمعرفة بأن تنمو، فيبقى الناس مغتبطين بماهم عليه متوجسين من حسد الحاسدين وكيد الحاقدين وتآمر المتآمرين.هكذا يتوهم الإسكيمو في القطب المتجمد أو قبائل هضبة التبت في صحارى آسيا ومثلهم كل مجتمع منغلق يجتر نفس التغذية ويرفض أي تغذية طارئة. إن المجتمع المتخلف يرى أنه البقعة الوحيدة المضيئة في الأرض، وأن المجتمعات الأخرى حتى أشدها ازدهاراً تعيش في ظلام حالك، وأنها تختزن حقداً متأججاً ، وتتمنى أن تطمس هذا الضوء الاستثنائي .

www.mtenback.com

"حوارات ٦٢"

بعد عرض مجمل خطابات البليهي الناقدة للواقع الاجتماعي الذي يرى أنه محبط ومتخلف وجاهل نعود إلى الأسس والمقومات التي ينهض عليها رأيه وتوجه وما يريد الوصول إليه، وكيف تلقى الناس هذه الخطابات التي تعرضت للثابت وللمسلمات في بنية العقل العربي كما يقول الجابري، أو بنية التخلف كما يرى، وهو لهذا الواقع يدور خطابة في دائرتين كبيرتين.

.الأولى :

الموروث الهائل للثقافة العربية الإسلامية، وما خلفه هذا الموروث من ترسيخ ثقافة الاجترار، أو ما يسميه هو إعادة الإنتاج والدوران في المربع الأول الذي تدور فيه دائرة النظر، ويعاد تكراره والاعتماد عليه ونخله كلما جدَّ جديد للبحث فيه عن سلوة أو قدوة أو مثل، وليس للانطلاق منه وتجاوزه إلى المستقبل وبهذه النظر لهذا التراث عبر عنه بحصون التخلف، وهو تعبير يصوبه نحو الماضي كله، ويصفه بهذه الصفة، فالحصن هو المحيط المانع لما وراءه فلا يدخل فيه ما كان من خارجة إلا من باب الحراسة والتفتيش والضبط المقنن لما في الحصن، وما يدخل إليه أو يخرج منه وهو بهذه التسمية التقليدية في المفهوم الحربي القديم يختار الحصون لأنها في وظيفتها الطبيعية تحمي من بداخلها من الانتهاك والغزو والقتل والإباحة الجسدية، ولكن الحصون وسكانها قد يتعرضون للجوع والحصار والتحكم المستبد عند الرغبة بالخروج منها أو الخلاص من حراسه، وقد يلقى أهل الحصن أشد من القتل والإباحة من حراسته والقائمين عليه، فيطيل ذلك حياتهم وبقاءهم،ويطيل شقاءهم وتعاستهم. هذا هو المعنى الذي جعل الكاتب يختاره لتسمية حال قومه، ويصفها بأنها حصون ولكنها حصون للتخلف، وحصون للجمود والانتكاس.لكن البليهي عندما يصف هذه الدائرة الكبيرة عنده بحصون التخلف يكتفي بالاسم و ما يوحي به، ولكنه لا يحاول دخول الحصون وتحديد مكوناتها من الداخل وتفكيك محتوياتها والإشارة إلى ما يظنه أكثرها إعاقة وتأثيراً في ساكنيها،لا يقترب الكاتب منها، ولا يعمل رأيه في هذا الحال. وبدلاً من ذلك نجده يدور في دوائر متقاطعة وغير محددة، يجمل القول ولا يقترب من التفاصيل التي يريد أن يتحدث عنها في الحصون وساكنيها، يأخذ خطابه بالإيحاء من بعيد إلى ما يريد، ويشير في طرف خفي إلى المعوقات، ولكنه لا يلامس التحديد الدقيق لأكثر المعوقات وجودا في حياة ساكنيها، و لا يحدد الحلَّ الذي يرى أن الخروج من حصون التخلف مربوط به ومعتمد عليه.

www.mtenback.com

الدائرة الثانية :

يدور خطاب البليهي النقدي دورة طويلة خارج حصون التخلف، وهو الفضاء المفتوح الذي يعيش من فيه الحياة بكل تفاصيلها، ويتلقون الهواء النقي الصافي من السماء ومن جهات الدنيا الأربع، وتنطلق فيه حركة الإنسان بلا قيود ولا حراسة مشددة، فضاء واسع مشمس نهاره، ومقمر ليله، ذاك هو العالم الغربي الذي انطلق من عقال الماضي كله وخلفه وراء ظهره، واتجه إلى الأمام لا يلتفت إلا قليلاً ولا ينظر إلى الخلف إلا نادراً،أبدع هذا الغرب في انطلاقه من قيود الماضي، ثورة معرفية واسعة وقيماً إنسانية رائعة حولت الإنسان من أداة للحرب والاستغلال، وبطش القوة إلى قيم إنسانية تشهر حقوق الإنسان والتعاون الإنساني، وتصنع تقدم الإنسانية،وسعادتها جادل في خطابة عن منجزات الحضارة الغربية ، وضرب الأمثلة في الحاضر الذي لا تنكره عين مبصرة واتخذ من هذا الانجاز دليلاً على تطور الحضارة الغربية المزدهرة مقارناً حال الغرب وحضارته بحال قومه وحضارتهم الذين لا يختلف اثنان على الفارق المخيف بين الحضارتين، وهو في طبيعة الحال لصالح الحضارة الغربية. يناقش البليهي هذا الجانب ويدافع عنه وعن الإعجاب به ويقيم الدليل من الواقع ومما يعيشه الناس ويشاهدونه ويلمسونه بأيديهم فلا تكون المقارنة إلا في صالح الحضارة الغربية،يقول ً مؤكداً موقفه:"أن موقفي من الذات ومن الآخر هو موقف يعتمد على إدراك الواقع العربي المشين والمهين وبالمقابل في إعجابي بالغرب يقوم على الحقائق الواضحة المجسدة على الواقع المتدافعة والجياشة وعلى الفيض الهائل من الإنجازات العظيمة فالواقع الغربي المزدهر يزخر بكل ما هو عجيب وجميل وبديع ورائع ومدهش"

"حصون التخلف ٣٥"

ولا يكتفي بالحاضر المزدهر للغرب بل يزعم أن الحضارة الغربية قد توقفت عن النمو والانطلاق بتأثير الحضارة الشرقية في القديم عندما قويت الحضارة الشرقية فأوقفت تقدم الحضارة الغربية، ولم تستأنف تقدمها حتى تخلصت من تأثير الحضارة الشرقية، فيقول:"إن الحضارة الغربية تأسست في اليونان في القرن السادس قبل الميلاد ثم بتأثير الشرق توقفت في العصور الوسطى ثم استأنفت مسيرة الصعود في عصر النهضة وفي العصر الحديث **""حصون التخلف ٤٣"**

ولكي يسحب من الحضارة الإسلامية والعربية ما تدعي خصوبته في تاريخها، وهو التراكم الكمي ينكر أن يكون ذلك نافعاً أو سبباً من أسباب النهوض، فيقول:"إن لكم لا يتحول

www.mtenback.com

إلى كيف أبداً إلا بطفرة استثنائية وهذا الاتجاه هو الاتجاه الصحيح المقنع الذي التزم به،فالكم لا يمكن أن يتحول تلقائياً إلى كيف أبداً وقد دلت التجارب الإنسانية بأن التقدم لا يتحقق إلا بنهضة فكرية تهيئ المجتمع للنهوض الشامل..."

"حصون التخلف ٤٥"

ملخص الخطاب النقدي

يدور خطاب البليهي النقدي في محورين كبيرين: التخلف الذي يعيشه نصف العالم أو أكثر من النصف، وفي هذا النصف يقع العرب والمسلمون في ماضيهم البعيد وفي حاضرهم، وأسباب ذلك عنده عدة يكررها، ولا يملُّ تكرارها وهي الجهل بالحقائق والأسباب، ولهذا اختراع ما يسميه علم الجهل، السبب الثاني عنده التخلف الذي يقبع فيه العالم الذي ينتمي إليه الكاتب مما جعله يسكُّ مصطلح بنية التخلف في حال، وحصون التخلف في أحوال أخرى، السبب الثالث البرمجة الذهنية والعقلية التي تحول الإنسان في هذا العالم إلى أداة سماع وترديد أبله فيما يزعم،ونتيجة ذلك أمّحت شخصية الفرد، وذابت في الجماعة..رابعاً التكالب على المصالح الخاصة و الاستخفاف بالمصالح العامة مع تسلط الأنظمة السياسية واستبدادها وقمعها وغطرستها التي أوصلت مجتمعاتها إلى الدرك الأسفل، وبينما يرى أن الحضارة الغربية هي حضارة الازدهار والإنجاز الباهر الذي لا يملُّ أيضاً شرحه وتوضيحه وبيان ما يعتقد فيه من المزايا الرائعة كما يحب أن يصفها، ويكرر ذلك دون ملل أو كلل.

وإذا عدَّ أحد خطاب البليهي النقدي بأنه خطاب منحاز إلى الحضارة الغربية حفي بمنجزاتها معجب بها فإنه لا يزعجه ذلك، بل لا يخفي هذا الاحتفاء والإعجاب، وهو حاضر في بيانه، وشاهده ما يقع تحت أنظار الناس، و ما هو مدرك في حياتهم اليومية مقابل الغياب التام لوسائل الدفاع عن الحضارة العربية والإسلامية في المنطق نفسه والسياق الاجتماعي إيّاه.

وإذا كان هناك من مأخذ على مجمل هذا الطرح فإن تلك المآخذ تنحصر في عدد من النقاط:

الأولى: أنه يجسد واقعاً لا يختلف عليه اثنان في حال المقارنة بالمنجزات المادية، ولا حتى المنجزات الأخلاقية والقيمة، ولكنه يغفل الأسباب الحقيقة لتطور الغرب وتخلف العرب، أو بمعنى آخر يدور حول الأسباب أو ما يعتقد أنها الأسباب الكامنة في بنية المجتمع في العالم الثالث،ولا يكاد يلامسها بلغة بيّنة صريحة.وعندما تلجئه الأسئلة أو سياق الكلام

www.mtenback.com

عن معوقات النهوض يعمم في رؤيته ويحيل إلى الإجابات الموهمة و إلى الثقافة وإلى الزمن وإلى التاريخ وهلم جراً،ولكنه لا يحدد أي نوع من الثقافة. ذاك الذي هو سبب الجمود والتخلف عنده، فالثقافة واسعة في تعريفها متشبعة في مضامينها متباعدة في آلياتها، فأي جزء منها هو سبب التخلف والانتكاس فيما يرى؟ وأي جزء منها هو سبب التقهقر والتردد والحرمان؟ ذلك ما لم يستطع أن يلامسه بالتفصيل، أو يناقشه في الحوارات الكثيرة التي أجريت معه، أو يشير إليه، ويحدده لقرائه.

ليس في مشروعه النقدي برنامج للخلاص من التخلف الذي يرى أنه بنية صامدة في وجه التقدم والازدهار، وليس في طرحه أمل في أن ينجو المستقبل لعالمه العربي والإسلامي من الركود، ولهذا السبب لم يقبل أن يوصف العالم العربي والإسلامي بالتخلف، بل شحّ عليه في هذا الاسم"التخلف" وعلل لذلك تعليلاً منطقياً لغوياً، وأحلّ محل التخلف التقهقر والتراجع والنكوص. وهو يميل بلغته إلى المترادفات في عرضه لرأيه في الغرب مما يحيل إلى لغة الإنشاء في بعض الأحيان، مثل الفقرة السابقة حين يقول:"فالواقع الغربي المزدهر يزخر بكل ما هو عجيب وجميل وبديع ورائع ومدهش" ومثل هذه المترادفات تظهر مدى ما يريد أن يقنع القارئ به،ولهذا السبب تأتي عباراته سريعة متتابعة، وكأنه يسارع لإلهاء القارئ و إرباكه بهذه الكلمات التي يصفها، بينما واحدة منها تعبر عنها جميعاً، يوحي خطابه النقدي بما لا يدع مجالاً للشك بأنه يوجه جلّ نقده إلى الواقع الاجتماعي الذي يعيشه مجتمعه خاصة أو الدائرة الضيقة من مجتمعات متجانسة متشابهة مثل مجتمعات دول الجزيرة العربية، ولكنه يحاول ألا يقف كثيراً على قضايا هذه المجتمعات إلا بشكل لمحات وإيماءات بعيدة ،كوصفه العشائرية والعصبية،وهو عندما لا يجد خروجاً من إلحاح السؤال يشير إلى أن ما يكتبه "يأتي من منظور عام ينطبق على أي مجتمع متخلف" أو يقول :"إنني لا أكتب وفي ذهني المجتمع المحلي فقط

"."حوارات ١٠٢ــ "

وذلك مما يوسع مجال التهمة ويبددها على رقعة واسعة من سكان الأرض؛ فالتخلف يغلب على أكثر سكان المعمورة. وهو بلا شك لا يريد أن يصلح حال الناس جميعاً ، إنما همُّه بالضرورة العالم العربي والإسلامي الذي يشاركه كثيراً من مقوماته الثقافية والفكرية.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com